الفصـل الأول

مــدخل تــاريخي لعلم النفس

History of Psychology

الفصل الأول

مدخل تاريخي لعلم النفس

History of Psychology

يرى بعض علماء النفس أن تاريخ هذا العلم بدأ فى الفترة التى أصبح فيها علماً تجريبيا، إذ شهدت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الكثير من التجارب النفسية والمختبرات التى أنشأت هنا وهناك والتى برهنت على أن معظم الوظائف النفسية كالتفكير والتعليم والتذكر والنسيان والانفعال يمكن أن تدرس دراسة موضوعية ويمكن أن تخضع للتجربة.

لقد كان التجريب فى علم النفس تحولاً كبيراً وقفزة نوعية رسم الى حد كبير صورة علم النفس الحديث المرتكز على البحث والتجربة المتعلقة بمظاهر السلوك وتفسيره والإفادة من ذلك إفادة تطبيقية حياتية ولكننا فى نفس الوقت يجب أن لا نغفل التصورات القديمة عن العقل والروح التى سبقت عصر التجارب النفسية لأن هذه التصورات هى التى مهدت لظهور علم النفس وسوف نستعرض بإيجاز الفترات التى مرت بها عملية النشوء لهذا العلم.

أولاً: عصر الفلاسفة الإغريق .

اهتم الفلاسفة الإغريق فى دراسة علم النفس دراسة منظمة تستحق أن يكون لها مكان فى تاريخ العلم هذه الدراسات كانت تقع ضمن دراساتهم الفلسفية التى اهتمت بالإنسان وفكره الذي أصبح فى نظرهم **مقياس الأشياء جميعاً ومن هؤلاء الفلاسفة:**

1- سقراط Socrates (470-399 ق.م):

يقال عن سقراط أنه هو الذي أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض وتحولت من خلاله النظرة فى الطبيعة الى النظر والاهتمام بالإنسان، كما أشتهر سقراط بأسلوبه

المشهور(التوليد السقراطي) حيث يستخرج الحقائق المختفية عند الأفراد الذين يناقشهم من خلال ادعائه بالجهل والغفلة فيقوم بتوجيه الأسئلة إلى مناقشيه ليتوصل الى الحقائق باستخراجها منهم ويرى سقراط أن الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويعقله وأن القوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة وأن الإنسان يريد الخير دائماً ويهرب من الشر بالضرورة وأن معرفة الإنسان لذاته هي أساس الفضيلة وأن الفضيلة هي السبيل الى السعادة الحقة .

كما يرى سقراط بأن الطبيعة الإنسانية تشتمل على قوتين هما العقل والشهوة وهاتان القوتان رغم أنهما تعشيان سوياً إلا أن الصراع بينهما صراع دائم لاختلاف طبيعة كل منهما .

2- أفلاطون Plato (427-347 ق.م) :

أما أفلاطون فهو الشخصية الأبرز فى الفلسفة اليونانية وفى علم النفس فقد ترك بصماته الواضحة على هذا العلم من خلال اكتشافاته المهمة فى هذا المجال ومن خلال صياغته النفسية التى قدمها فقد كان يرى أن هناك عالمين هما عالم الأفكار أو المثل (Ideas) وعالم الأشياء (Things) فعالم الأفكار يتكون من المعاني الدائمة أما عالم الأشياء المادية فهو الجسم الذي تهبط النفس إليه من عالم الأفكار لتحتله وتسكنه وهذه النفس ذات طبيعة روحية تختلف عن الجسم وأنها قد وجدت قبله وسوف تستمر بعده.

- **والنفس من وجهة نظر أفلاطون على ثلاثة أقسام :**

- **النفس العاقلة:** ومقرها الرأس وبذلك فهي قريبة من السماء.
- **النفس الغاضبة:** ومقرها القلب.
- **النفس الشهوانية:** ومقرها البطن.

وبـذلك فـأن للنفس أثر على الشخصية فالنفس العاقلة تكون شخصية صاحبها أقرب الى الكمال وصاحب هذه الشخصية أفضل من صاحب النفس الغاضبة والشـهوانية معـاً لذلك يجب أن تخضع الشهوانية للغاضبة والغاضبة للعاقلة.

ويعد أفلاطون أول مـن أهـتم بدراسـة الفـروق الفرديـة بـين الأفـراد وطالـب بضرورة توجيه الأفراد حسب قدراتهم واستعداداتهم وميولهم كما أهـتم أيضـاً ببيئـة الإنسان وأشار إلى أثرها على تفكيره وسلوكه، وتناول أيضاً بعـض العمليـات العقليـة كالإحساس والتفكير والتذكر والتخيل .

3- أرسـطو Aristotle (384-322ق.م) :

تشير الكتابات الكثيرة التى تناولت أرسطو بالدراسة إلى أنـه المؤسـس الأول لعلـم النفس فقد قدم لنا كتابه المشهور (فى النفس) التى يرى أنها جوهر الكـائن الحـي وسبب حياته ولكن ليس لها وجود مستقل عن الجسم وهذا يتفق مع ما ذهبت إليـه الكثير من النظريات النفسية المعاصرة .

ويرى أرسطو أن هناك ثلاثة أنواع من النفس هي :

- **النفس النامية :** وهي أساس الحياة والغذاء النمو ، وهي موجودة فى النبات وهى الوظيفة الأولى للنفس.
- **النفس الحيوانية :** ووظيفتها الحركة والإحساس عن طريق الحواس الخمس .
- **النفس الناطقة :** ووظيفتها التفكير وهي موجودة لدى الإنسان .

كما اهتم أرسـطو بالإحسـاس والتـذكر والتخيـل وركـز اهتمامـه علـى العقـل والتربية العقلية.

ثانياً: علم النفس عند العرب والمسلمين .

تأثرت الفلسفة العربية الإسلامية بالفلسفة اليونانية ونسج الفلاسفة العرب على غرار فلاسفة اليونان إلا أنهم نظموا ما اقتبسوه من الفلسفة اليونانية نظماً منسقاً فيه تجديـد

وابتكار كما أدخلوا عليه الكثير من التعديلات والإضافات المهمة، ولقد كان لإنشاء (دار الحكمة) التى بناها الخليفة المأمون فى بغداد أثر بالغ فى هذه الحركة العلمية الكبيرة التى شهدتها الحواضر الإسلامية فلقد ترجمت غالبية كتب الفلاسفة اليونانيون فى الطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء والفلك والطبيعيات ولم تكن عملية الترجمة هذه ارتجالية أو كيفية بل كانت عملية منظمة وانتقائية دلت على وعي كبير لدى القائمين على هذه العملية.

وفضلاً عن الأثر الكبير الذي أحدثته الترجمة إلا أن الفلاسفة العرب كانت لهم آراؤهم الواضحة فى النفس فأغلبهم قد تحدث عن القدرات العقلية وعن الإحساس والإدراك الحسي والتذكر والتخيل والتفكير والدوافع والعادات وفيما يأتي عرض لأراء بعض هؤلاء الفلاسفة.

1- الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (257- 339هـ).

فيلسوف إسلامي وعالم كبير وباحث متميز فى النفس حيث عبّر عنها بأنها: ((كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة)) وهي عنده صورة البدن كما تكلم الفارابي عن القدرات التى تهيئ للإنسان سبل الرقي والمعرفة وهي عنده قدرات موكلة بالعمل وهذه قدرات عملية، وأخرى موكلة بالإدراك وهدفها تحصيل المعرفة.

وقد كتب الفارابي كتباً عديدة فى النفس لم يصلنا منها إلا القليل مثل كتابه القيم (فى النفس) وكتابه ((العقل)) ومقالة فى ((الكمال الخاص بالإنسان)) وقد تناول فى كتبه هذه جوانب عديدة تتعلق بعلم النفس والدراسات النفسية كالشخصية والأسس النفسية للجماعة والحاجات الاساسية.

2-ابن سينا: أبو على الحسين بن عبدالله (370- 428 هـ).

من أعظم فلاسفة المسلمين الذين اهتموا بالنفس ويعتقد أبن سينا أن علم النفس هو جزء من علوم الطبيعة وهو ينقسم فى رأيه إلى قسمين رئيسيين هما: علم النفس الميتافيزيقى أي الذي يشمل البحث فى مرتبات وجود النفس وماهيتها وعلاقتها

بالجسم وخلودها، وعلم النفس الطبيعي الذي يشمل البحث فى القوى النفسية المختلفة أو ما يسميه بنظرية الإدراك الحسي، وقد قسم ابن سينا الحواس إلى حواس ظاهرة وحواس باطنة فالحواس الظاهرة هي المتمثلة فى الحواس الخمس أما الحواس الباطنة فهي قوة فى الباطن تدرك من الأمور المحسوسة مالا يدركه الحس.

ويرى أبن سينا أن النفس منفصلة عن الجسم والجسم محتاج للنفس لأنها هي مصدر حركته كما أنها ثابتة مستمرة بينما الجسم ليس ثابتاً ولا مستمراً لذلك فالنفس مغايرة للبدن فالإنسان قد لا يشعر بجسمه لكنه يشعر بوجوده.

ومن آراءه أيضاً هو أن للنفس طبيعة روحية فهي لذلك لا تدرك المعقولات والمعاني الكلية وهى التى تجرد المعاني من الجزيئات. والروح أداة النفس فبواسطتها يتحرك الجسم ويدرك الأشياء ، وقد صنف الوظائف النفسية التى يشترك فيها الإنسان دون الحيوان أو التى يختلفان فيها وبهذا فهو يتفق مع الرأي السائد حول الدوافع الفطرية والاجتماعية .

وفى كتابه المشهور (القانون) فى الطب تكلم فى جزءه الثاني عن العلاقة بين الإمراض الجسمية والحالة النفسية وهو ما يعرف اليوم بالإمراض السايكوسوماتية Psychosomatics أي الأمراض الجسمية التى لها أسباب نفسية .

لقد اتبع أبن سينا فى دراساته النفسية المنهج التحليلي فهو يحلل الوظائف النفسية فى ترتيب متصاعد أدنى مرتبة فيها هو الإدراك الحسي وأعلاها الوظائف النفسية الفطرية، وقد قدم هذا الفيلسوف العظيم والطبيب البارع وعالم النفس المتميز مجموعة من الكتب منها (رسالة فى النفس) يؤكد فيه أهمية معرفة الإنسان لنفسه إذ يقول (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) .

أما فى كتابه (الشفاء) فقد تحدث عن الانفعالات التى يتميز بها الإنسان عن الحيوان، ثم صنف الوظائف النفسية المشتركة بين الإنسان والحيوان أو التى يختلفان فيها.

وفضلاً عن كل ما تقدم فإن له قصائد كثيرة فى النفس أشهرها ما يعرف بـ (عينية أبن سينا فى النفس) التى يكشف فيها آراءه وتصوراته عن النفس بأسلوب شعري علمي رائع .

3-الغزالي : أبو حان محمد بن احمد الغزالي (450-505هـ).

عالم إسلامي جليل وفيلسوف بارع كبير، تعددت أبحاثه ودراساته ونالت النفس حظاً وافياً من هذه الأبحاث فقد تحدث عن نشاطات النفس وقواها الفعلية وكيفية اكتساب العادات الصالحة والتخلص من الضارة منها، فضلاً عن دراسته لوظائف الإدراك الحسي والذاكرة وأنواع الإدراك والتخيل، كما أهتم بدراسة الدوافع الفطرية والمكتسبة والعوامل المؤثرة فى السلوك الإنساني وأولى أهمية للانفعالات الإنسانية وأشار إلى وجود فروق بين الناس فى سرعة الاستثارة وفى القدرة على ضبط الانفعال، وقد قسم الانفعالات إلى مجموعتين الأولى هي التى تتميز بالألم كالخوف والغضب والثانية تتميز باللذة والارتياح كالفرح والسرور ثم ينتقل الغزالي إلى **تحليل كل انفعال إلى ثلاثة عناصر هي:**

أ- المثير: وقد يكون خارجياً أو داخلياً.

ب- الإنسان: فالناس مختلفون فى شدة انفعالهم فالسن والخبرة والجنس هى عوامل تلعب دوراً مؤثراً فى ذلك .

جـ . الاستجابة: وهي السلوك الذي يبديه الإنسان بعد تعرضه للمثير .

ولقد كان اهتمام الغزالي منصباً على الجوانب التجريبية أكثر من الجوانب النظرية مستخدماً **ثلاث طرق علمية فى هذا الاتجاه هي:**

طريقة التأمل الباطني، وطريقة الملاحظة وطريقة التحليل النفسي وهذه الطرق كان وما يزال العاملون فى ميدان علم النفس الحديث يستخدمونها فى دراساتهم.

ولقد كتب الغزالي عدداً ضخماً من الكتب فى شتى المجالات نالت الكتب ذات الطابع التربوي والنفسي والاجتماعي النصيب الأكبر مثل (معارج القدس فى مدارج معرفة النفس) وكتابه (أحياء علوم الدين) الذي تناول فيه موضوع السلوك وضروبه المختلفة حيث يرى أن السلوك ليس آلياً بل هو سلوك حيوي يهدف إلى تحقيق غرض معين وأن السلوك الإنساني هو المرآة التى تعكس بصدق ماهية النفس البشرية وما يعتريها من انفعالات وعوامل وميول واستعدادات وقدرات عامة وخاصة.

أما رسالته المطولة (أيها الولد) ففيها يجيب عن تساؤلات احتوت العديد من النصح والإرشاد والحث على العلم والعمل وكل ما من شأنه رضا الله عز وجل.

4- ابن رشد : أبو الوليد محمد احمد بن رشد (525-599هـ).

فيلسوف إسلامي بارز اهتم بدراسة النفس واعتبرها من ضمن العلوم الطبيعية لأن هذه العلوم تبحث فى الجسم الطبيعي من حيث هو مركب من صورة ومادة والنفس صورة الجسم كما قال الفلاسفة ، كما أن للنفس جوانب تهتم بدراسة ما وراء الطبيعة .

وهي كما يقول ابن رشد على خمسة أنواع (النفس الغاذية، والنفس الحساسة ، والنفس المتخيلة ، والنفس النزوعية ، والنفس الناطقة).

بقى أن نقول أن أبن رشد ترك كنزاً ثرياً من الكتب أبرزها (تهافت التهافت ، التحصيل، المقدمات ، نهاية المجتهد ، الكليات، الأخلاق) وغيرها كثير .

ثالثاً : عصر النهضة الأوروبية .

شهدت أوروبا خلال القرنين الخامس والسادس عشر نهضة كبيرة شاملة فى كل مجالات الحياة الفنية والأدبية والموسيقية والعلمية المختلفة وقد تأتى ذلك من انتقال الفكر الحضارى من الشرق العربي الإسلامي ومن الأندلس إلى بلدان أوروبا والغرب، والذي يهمنا فى هذا المجال متابعة الأبحاث والدراسات النفسية وما طرأ عليها من

تطوير فى أساليب طرحها وفى المنهجية التى اعتمدت فيها ، وسوف نأخذ فى هذا السياق واحداً من ألمع الفلاسفة الأوروبيين الذين تناولوا النفس الإنسانية بالدراسة والتحليل فى تلك الفترة وقدم لنا أفكاراً جديدة فيما يتعلق بحل مشكلة العلاقة بين العقل والجسم ذلك هو الفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت 1596-1650م) :

بدأ ديكارت دراساته النفسية مستخدماً ومستفيداً من الاكتشافات العلمية التى حصلت فى مجال الفسيولوجيا والطبيعيات، وقد حاول معالجة مشكلتين كانتا قائمتين آنذاك الأولى هي ثنائية العقل والجسم والثانية التفسيرات الآلية للسلوك التى جاء بها من سبقه، وقد وجد ديكارت أن للجسم خصائص جوهرية عديدة منها الامتداد فى المكان أي أشغاله حيز فى الفراغ، أما العقل فمن خصائصه التفكير والشعور لذلك فهما مختلفان ومتمايزان ولأرابط بينهما وأن الإنسان أشبه بالآلة التى يسيطر عليها العقل.

وفى ضوء ذلك فإن ديكارت قدم نظرية الفعل المنعكس (الفسيوسيكولوجية Physiopsychology التى أوضح فيها أن الحيوانات العليا ما هي إلا آلات حية ليس لها نشاط عقلي لذلك فقد فسر سلوكها على أساس فسيولوجي لأن نشاطها تؤديه الوظيفة الميكانيكية للترتيب الطبيعي للجسم أما أسلوب الإنسان فقد فسره على أساس العقل المنعكس لذلك فهو يرى أن الحيوان لا يحس ولا يشعر ولا يفكر بل هو يستجيب للمنبهات الخارجية، أما الإنسان فهو يعقل وان الشعور هو من أهم خواص العقل ومن هنا فإن علم النفس بدأ يزداد وضوحاً وتحديداً لأنه أصبح يبحث فى الشعور الذي يتضمن التفكير والتذكر والتصور وما يجده الإنسان فى نفسه من مشاعر وانفعالات وميول ورغبات حتى أصبح علم النفس هو علم الشعور ومن هنا بدأ علم النفس ينسحب من تحت مظلة الفلسفة ويستقل عنها كعلم خاص.

ومن الأمور الأخرى التى درسها ديكارت ووضع فيها آراءه النظرية هى موضوعة الأفكار فهو يرى أن الأفكار **على ثلاثة أنواع هي:**

1- **الأفكار الحسية:** وهى الأفكار التى تأتي من البيئة الخارجية للفرد فتستقبلها أعضاء الحس كالألوان والأصوات والإشكال.

2- **الأفكار المركبة:** وهي أفكار أكثر تعقيداً من الأولى ولكنها مبنية عليها مثل هذا صوت كلب لونه أبيض صغير الحجم اشتراه جارنا قبل شهرين.

3- **أفكار فطرية:** وهي أفكار بدائية أولية بسيطة يولد الإنسان وهو مزود بها ولكن عليه أن يكتشفها بنفسه وتستنبطها ذاته مثل فكرة الزمان ، والمكان ، والمروءة ، والإيمان .

رابعاً : المرحلة العلمية .

مع نهاية القرن الثامن عشر ظهرت اكتشافات علمية عديدة فى ميادين الفيزياء والرياضيات والجهاز العصبي والعضلات وعلم الغدد وفى التوازن الفسيولوجي وظهرت نظريات جديدة فى علم الأحياء مثل نظرية التطور التى قدمها دارون Darwin واكتشاف الدورة الدموية، والكشف عن بعض مناطق المخ التى تهيمن على الحركات عند الإنسان والحيوان وعن سرعة التيار العصبي وغير ذلك من الاكتشافات التى أثرت فى مجرى الدراسات السيكولوجية ودفعت الباحثين لاعتماد المنهج التجريبي فى دراسة الظواهر النفسية وفيما يلي متابعة مختصرة للتطورات التى حصلت فى هذا المجال فى بعض بلدان العالم .

1-فى ألمانيا :

أن التطور الحقيقي الذي شهدته مسيرة علم النفس كان على يد مجموعة من العلماء الألمان مثل (فيبر، وفخز) الذين درسا العلاقة بين شدة الإحساسات وقوة المؤثر وصاغا قانوناً خاصاً بذلك، أما وليم قونت W.vondt فقد أنشأ أول معمل لعلم النفس فى مدينة لا يبزج الألمانية عام 1879 وأجرى بعض التجارب على المؤثرات الصوتية والضوئية وتطورت تجاربه فى محاولة لمعرفة الإحساس بهذه المؤثرات وانتقلت هذه

التجارب من الملاحظة الخارجية لمظاهر السلوك المختلفة إلى تحليل الخبرات الشعورية كالإحساس والإدراك والانفعال التذكر والتعلم والتفكير والانتباه وقياس سرعة النبض والتنفس أثناء الانفعال .

أن تاريخ أنشاء هذا المعمل على يد فونت يعد إيذاناً بظهور علم النفس كعلم مستقل محدد المعالم والتوجهات.

2- في انجلترا :

أما فى انجلترا فقد طَور جالتون Galton طرائق جديدة فى البحوث إذا كان متأثراً بنظرية دارون التطورية التى تقرر الصلة بين الإنسان والحيوان والتى تعزو الفروق الفردية بين أفراد النوع الواحد إلى الوراثة، لذلك فقد عكف جالتون على مقارنة الإفراد كالتوائم والأقارب وتقدير الفروق الفردية بين الناس في القدرات العقلية ووضع اختبارات مختلفة فى هذا المجال، كذلك فأن جالتون أهتم ببحوث تاريخ الحالة Case-historyوطَور مقاييساً للسمات واستخدام الإحصاء فى تحليل المعلومات وخاصة معامل الارتباط وقد استعان بذلك بعالم الإحصاء المشهور بيرسون Pearsonالذي كان يعمل معه فى جامعة لندن آنذاك وقد كانت لبحوثهما الأثر البالغ فيما عرف بعدئذ بعلم النفس الإحصائي.

3- في فرنسا :

امتازت مرحلة نمو وتطور علم النفس فى فرنسا فى تلك الفترة باهتمامها بالبحوث النفسية فى مجال الشواذ وعلم الإمراض العقلية وضعاف العقول ومن ثم الاهتمام بالذكاء وبمقاييسه، وكان من أشهر العاملين فى هذا الميدان أسكيرول ، وبرنهايم ، وجانيه ، وشاركو المشهور بالعلاج بالتنويم المغناطيسي ، وبينيه Bienet الأكثر شهرة فى مجال القياس العقلي فهو أول من وضع مقياساً للذكاء بعد أن كلفته الحكومة الفرنسية عام 1904م بدراسة أسباب تأخر وتخلف بعض التلاميذ عن زملائهم دراسياً فى المرحلة الابتدائية وقد تمكن من صياغة مقياس للذكاء

عام 1905م وكان مكوناً من 30 سؤلاً تتدرج فى صعوبتها وتشتمل على (التوافق الحسي والحركي وبعض الأوامر البسيطة وإعادة سلاسل الأرقام وتعريف بعض الألفاظ ومقارنة أطوال الخطوط وإكمال الجُمل ...الخ).

وقد أجريت على هذا المقياس فيما بعد تعديلات كثيرة وتم تطويره فى بعض بلدان العالم ليكون صالحاً للبيئة التى يطبق فيها.

4- فى الولايات المتحدة الأمريكية:

وقد سارت الدراسات النفسية فى أمريكا سيراً حثيثاً وبرز عدد من العلماء الذين نشطوا فى هذا المجال أبرزهم (وليم جيمس W.James) الذي أهتم بدراسة البحوث التجريبية وهناك (كاتل Cattel) الذي تتلمذ على يد فونت فى ألمانيا وجالتون فى إنجلترا الذي أهتم بشكل خاص بموضوع الفروق الفردية والقياس العقلي ووضع عدداً غير قليل من الاختبارات فى هذا المجال.

أما (ستانلي هول Hall) فقد أثر كثيراً فى إثراء النظرية السايكولوجية الأمريكية وخاصة فيما يتعلق بعلم نفس الطفل وقد نشر مقالات ودراسات عديدة عن الطفولة والمراهقة وأصدر مجلة تعني بالمواضيع النفسية عام 1887م أسماها (المناقشات التربوية) فضلاً عن اهتمامه بتطوير آليات البحث السايكولوجي فهو أول من استخدم الاستبيان فى بحوثه كما أهتم بالملاحظة كأداة مهمة فى الدراسات النفسية.

5- الاتحاد السوفيتي السابق :

نشط العلماء الروس كثيراً فى المجالات النفسية وكانت لهم إسهامات واضحة فى تطوير علم النفس ونظرياته ومنهجيته وبرز بينهم علماء مشهورون منهم (بختريف Bekhtrev) الذي أنشأ أول معمل نفسي بعد معمل فونت فى ألمانيا بست سنوات، ثم إسهامه بفتح أكبر مؤسسة فى روسيا ذلك هو معهد علم النفس فى جامعة موسكو المشهور لحد الآن والمعروف للكثير من العاملين فى ميدان علم النفس.

أما العالم الأشهر والأبرز فهو (أيفان بافلوف Pavlov) الطبيب والباحث الفسيولوجي الذي بدأ نشاطه العلمي التجريبي حول الارتباط الشرطي وحاز عام 1904م على جائزة نوبل عن بحوثه هذه وسنتناول نظريته هذه ببعض التفاصيل فى هذا الكتاب وقد جاء بعد بافلوف مجموعة من العلماء الروس المشهورين أمثال (بلونسكي Blonski وكورنيلوف Kornilov ولوريا Luria وفيجوتسكي Vygotski ومكارينكو Macarinco) وغيرهم ممن أسهمت دراساتهم للعمليات النفسية والعقلية ووظائف الدماغ واللغة والتعلم والتفكير وغيرها من الموضوعات فى إثراء هذا العلم وتطوره .

- **تعريف علم النفس** :

هو ذلك العلم الذي يدرس السلوك الظاهر دراسة نظامية ويحاول تفسير علاقته بالعمليات العضوية الداخلية سواء منها العقلية أو الجسدية من جهة، وعلاقته بالإحداث البيئية من جهة ثانية.

- **أهداف علم النفس**:

يهدف علم النفس إلى الوصول للمعرفة التى بواسطتها يستطيع أن يفسر العلاقة النظامية بين جملة من العوامل المسببة وبين النواتج التى هي بمثابة السلوك.

ويسعى علم النفس إلى كشف العلاقات النظامية القائمة وراء السلوك، فالسلوك هو النتاج النهائي الذي تسبقه جملة عوامل تمهد لظهوره وهذه تسمى مسببات السلوك التى أختلف العلماء حول كيفية عملها وتأثيرها الفعلي على الإنسان الذي تصدر عنه الاستجابة، وهذا الهدف النهائي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال أهداف أصغر هى أيضاً فى جملتها أهداف أي علم وهي الفهم والضبط والتنبؤ .

1- **الفهم** Anderstanding :

عن الهدف الأول لعلم النفس هو الإجابة على (كيف؟ ولماذا؟) يحدث السلوك فكل فرد يريد أن يعرف كيف تحدث الأشياء ولماذا تحدث على الشكل الذي حدثت به، ونحن

نشعر شعوراً أفضل عندما نستطيع أن نفسر ظاهرة ما، ويقول سكنر Skinner عالم النفس المشهور إن الفهم ه أبسط شيء يمكن أن نحصل عليه ففي تسميتنا للظواهر أو تحديد مسبباتها نحاول فهم الظاهرة وعليه فأن الأفكار تقدم فهماً حقيقياً للظاهرة يجب أن تكون من نوع يمكن إثباته تجريبياً ومما لا يمكن نفيه بسهولة عن طريق أفكار أخرى .

2-التنبؤ Prediction:

وهذا الهدف يتمثل بالإجابة عن (متى؟ وماذا ؟) فالتنبؤ هو محك أو معيار الفهم الذي يتبناه العلماء لذلك فإن أي محاولة لزيادة الفهم تكون ذات قيمة عندما تكون نتائج الوصف هي التنبؤ الدقيق عن الظاهرة الأصلية أو عندما يؤدي الوصف إلى التنبؤ عن ظواهر أخرى ذات علاقة بالظاهرة الأصلية، فعالم النفس يستطيع عن طريق الدراسة التجريبية أن يتنبأ مثلاً عن مستوى تحصيل الطالب عندما يعرف درجة ذكائه وعلى الرغم من أن هذا التنبؤ ليس دقيقاً كالدقة التى تعطيها تنبؤات العلوم الطبيعية إلا أنه تنبؤ فى الاتجاه الصحيح.

3- الضبط Control :

يعني الضبط فى المختبر قدرة الباحث على أن يتحكم ببعض العوامل المستقلة لمعرفة أثرها على العوامل التابعة، وهذا يستدعي ضبط بعض خصائص العالم الخارجي خارج المختبر وبعض الخصائص المتعلقة بالفرد المدروس.

إن ضبط العوامل هو الذي يميز العالم أو الباحث عن الإنسان العادي فالباحث لا يصدر أحكامه إلا بعد عدد من الملاحظات المضبوطة التى تسمح له بإصدار حكم فيه درجة من التعميم .

- **فروع علم النفس:**

تعددت فروع علم النفس تبعاً لتعدد ميادين دراسته وبهذا **انقسمت فروع علم النفس إلى فرعين:**

أ- فروع علم النفس النظرية:

وهي تهتم بالدراسات الأساسية وتختص باكتشاف القوانين التى تتحكم فى السلوك وصياغة المبادئ التى يمكن عن طريقها تفسير السلوك **ومن فروع علم النفس النظرية هي:**

1- **علم النفس العام:** وهو يهتم بدراسة الدوافع والحاجات والنمو والانفعالات والعواطف وعمليات التفكير المختلفة كالإدراك الحسي والتحصيل والتذكر والذكاء.

2- **علم النفس الفسيولوجي:** وهو العلم الذي يبحث فى الظواهر الجسمية الداخلية وفى اتصالها بالحالات النفسية على أساس أن هناك صلة وثيقة وقوية متبادلة بين الجهاز العصبي للفرد وسلوكه الخارجي.

3- **علم نفس الطفل:** وهو يدرس حياة الطفل منذ ميلاده ويبحث فى العوامل التى تؤثر فى نموه ، مع تبيان مراحل هذا النمو وكيفية اكتساب الطفل للغة والتفكير والعادات والتقاليد والأعراف وكيفية تعامله مع الآخرين .

4- **علم النفس الفارقي:** {سيكولوجية الفروق الفردية} والمقصود بالفروق الفردية هى الفروق القائمة بين الأفراد من جهة وبين الجماعات من جهة أخرى، وتتمثل الفروق الفردية فى الفروق الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والثقافية.

5- **علم نفس الشواذ:** ويهتم هذا الفرع من علم النفس بدراسة الشذوذ والضعف العقلي والانحرافات المرضية السلوكية لدى الأفراد لمعرفة أسبابها وكيفية علاجها.

6- **علم النفس الاجتماعي:** وهو الذي يدرس السلوك الفردي ومدى تأثره بالسلوك الجماعي، أي دراسة العلاقة القائمة بين الفرد والجماعة فى ظواهرها المختلفة. وقد كانت العلاقة بين الفرد والجماعة مثار اهتمام الكثير من الباحثين والعلماء.

ب-فروع علم النفس التطبيقية :

أن فروع علم النفس التطبيقية **كثيرة ومتعددة ومنها :**

1- **علم النفس الصناعي :** يهتم بدراسة الأمن الصناعي والعلاقة بين العاملين وأرباب العمل ، واختيار القوى العاملة القادرة على العمل والإنتاج وتوجيهها بما يتفق مع قدرات وميول ورغبات واستعدادات كل عامل حتى يزداد إنتاجه ، والعمل على دراسة العوامل التى تؤدي إلى وقوع الحوادث والكوارث العمالية فى المصانع والمنشآت وكيفية تحاشيها، مع رسم سياسة منظمة لتدريب العمال والمنتجين خلال فترات العمل.

2- **علم النفس التجاري :** وهو يهتم بدراسة ورسم السياسة التجارية بين التجار والزبائن وكيفية احترام الزبائن ، مع رفع القيمة المعنوية لنفسية المشتري ودور الإعلام فى الدعاية وفى الترويج للبضاعة وشهرتها .

3- **علم النفس الجنائي:** ويركز على دراسة أسباب الجريمة ودوافعها لدى الفرد وهل هي بسبب مرض أو اضطراب نفسي أو سببها الظروف والعوامل الاجتماعية، مع رسم سياسة واضحة لعملية القضاء عليها بالطرق وبالوسائل الإصلاحية الحديثة ، بدلاً من التعذيب والانتقام والسجن فى الزنزانات .

4- **علم النفس الحربي :** وهو يعمل على رفع الروح المعنوية والعسكرية لدى المقاتلين ورفع كفاءاتهم القتالية أثناء الحرب وكيفية التعامل مع المقاتلين فى أثناء الحرب والسلم، مع رسم السياسة العسكرية التى تفيد فى تدريب العسكريين وتوزيعهم على المواقع العسكرية كل حسب مواهبه وقدراته ورغباته وميوله واستعداداته .

5- **علم النفس التربوي:** وهو العلم الذي يبحث فى تطوير طرق التعليم والعمل على تحسينها وتوفير الشروط النفسية لاكتساب المهارات والمعارف التعليمية المختلفة،

مع التركيز على قدرات واستعدادات التلاميذ المختلفة من أجل توزيعهم وتـــوجيههم إلى أنواع التعليم المختلفة والمتعددة التى تتماشى مع قدرات ورغبات كل تلميذ.

خلاصة القول أن علم النفس بجانبيه النظري والتطبيقي يمثلان وحدة واحدة مترابطة ومتعاونة تستهدف جميعاً إلى دراسة الإنسان فى جوانبه المتعددة والعمل علـــى تـــوفير أسهل السبل وأنبلها لكي يعيش الإنسان فى أمن وسلام كاملين.

مـــدارس عـلم النفـــس

Schools of Psychology

1-المدرسة السلوكية Behaviourism School :

ترى هذه المدرسة أن السلوك الإنساني هو سلوك فطري منعكس أى أنه عبارة عـن فعل ورد فعل وهو ما يطلق عليه بالمثير والاستجابة فمن وجهة نظر هذه المدرسـة هو آلة تستجيب لما حولها من منبهات ولا تحركه دوافع داخلية نحـو غايـات بـل منبهات خارجية وداخلية تجعل من الفعل الغريزي سلسلة من الحركات الآليـة يتبـع بعضها بعضاً دون الحاجة إلى تدخل الشعور ودون الحاجة إلى افتراض غرض يرمى إليه أو دافع يوجهه إلى هدف.

ويقرر أنصار هذه المدرسة أن الانفعالات الفطرية لا تزيد عن ثلاثـة هـي (الخـوف والغضب والحب) أما ما عداها من انفعالات فهو مكتسب فمثلاً المثير الطبيعي للخوف هو الصوت المرتفع العالي وأن مثير الغضب هو منع الطفل من الحركة، وأن مثيـر المحبة هو التودد والابتسام والمناغاة وهذه الدراسة قللت من أهمية الوراثة إلى حـد كبير فمن وجهة نظرها ليست هناك استعدادات موروثة أو ذكـاء مـوروث بـل أن الإنسان هو مجموعة معقدة من عادات يكتسبها أثناء حياته، كما اهتمت هذه المدرسة بعملية التعلم والتدريب إلى حد كبير ومن أبرز علماء هذه المدرسـة هـو واطسـن وبافلوف وثورندايك .

2-المدرسة الغرضية (السببية) Purposiv School:

مؤسس هذه المدرسة هو وليم مكدوجل الذي أكد على الغرائز فهو يـرى أن هنـاك رغبات وحاجات ودوافع أولية لدى الإنسان تنشأ من حياته الفطرية أو من غرائـزه

التى تعد المحركات الأولى والدوافع الأساسية لكل نشاط حركي أو ذهني يقوم به الفرد فكل سلوك يصدر عنه يهدف إلى غاية ويتجه إلى تحقيق غرض حتى وأن لم يكن شاعراً بهذا الغرض، ومن دون الغاية لا يمكن فهم السلوك وتفسيره.

3-المدرسة الكلية (الجشتالتية) Gestalt School :

من أبرز رواد هذه المدرسة كوهلر وكاكفا وفزتماير ، وقد ظهرت هذه المدرسة فى ألمانيا فى أوائل هذا القرن ، وتعني كلمة جشتالت بالألمانية الكل المتكامل الأجزاء أو الصيغة الكلية أو الشكل العام أو الإطار الكلي أو النمط Pattern وقد ظهرت هذه الدراسة فى الوقت الذي شاع فيه أسلوب تحليل الظواهر النفسية إلى عناصر جزئية كتحليل الإدراك إلى أحساسات جزئية. وعملية التعلم إلى روابط عصبية بين مثيرات واستجابات. والشخصية إلى سمات مختلفة، أما هذه المدرسة فقد أكدت على أن سلوك الكائن الحي لا يمكن فهمه إلا بالنظر إلى مجاله الكلي أي سماته المختلفة والعوامل البيئية المرتبطة به خاصة الجوانب الاجتماعية، بمعنى آخر إن هذه المدرسة رأت أن الظواهر النفسية هى وحدات كلية منظمة وليست مجرد مجموعات من عناصر بسيطة وأجزاء متصلة ببعض، فالإدراك والتعلم أو بناء الشخصية ليست كالحائط المكون من قوالب ملتصقة ببعض بل كالمركب الكيميائي الذي اندمجت عناصره بعضها فى بعض ولو حللنا هذا المركب إلى عناصره فإن المركب يتلاشى ويفقد وجوده ومعناه. أي أن الظواهر النفسية هي صيغ ومجموعات مترابطة الأجزاء تتسم بالتماسك الداخلي الذي يكوّن منها كليات والمجال الكلي الذي تتحدث عنه هذه المدرسة يتألف من أربعة عناصر **يجب التعمق فى دراستها هي:-**

1- التاريخ الاجتماعي للفرد وخبراته الماضية لاسيما الطفولة وعلاقة الفرد بأسرته وبشكل خاص بوالديه.

2- الحالة الصحية الحالية للفرد سواء من الناحية النفسية أو البدنية كما أنها تؤكد على الاتزان الانفعالي ودوره فى حياة الفرد.

3- البيئة الحالية للفرد المادية والاجتماعية مثل أصدقائه وزملاءه فى العمل، جيرانه أسلوب قضاء وقت الفراغ .. الخ، فهي عوامل ترتبط ارتباطاً بطبيعة الاستجابة التى يبديها فى كل موقف.

4- طبيعة المثير(الفعل) ونوع الاستجابة (رد الفعل) أي الانتباه إلى المثير من كافة جوانبه وكيف أن هذا المثير ولّد هذه الاستجابة بمعنى أخر أن معرفة المثير بكل تفاصيله تعطينا تصوراً عن نوع الاستجابة وطبيعتها فالمثير والاستجابة من جهة نظر الجشتالت يكونان معاً صورة واحدة مترابطة للحدث النفسي.

4- مدرسة تحليل العوامل Factor Analysis School:

هذه المدرسة تبناها وقادها العالم الإنجليزي سبيرمان Spearman عام 1904م وتبناها فى أمريكا ثرستون Thurstone وهذه المدرسة تحاول الكشف عن أقل عدد من العناصر أو العوامل المستقلة الأولية التى تتألف منها المركبات السيكولوجية كالذكاء والشخصية، وتعتمد فى بحوثها على تطبيق الاختبارات السيكولوجية المختلفة ومعالجة النتائج بطرق إحصائية معقدة .

5- مدرسة التحليل النفسي Psycho Analysis School :

هذه المدرسة قادها أحد علماء الطب العقلي فى فينا هو سيجموند فرويد Sigmund Freud الذي قدم مفاهيماً نفسية جديدة لم تكن مألوفة فى السابق منها اللاشعور زاعماً أن الكثير من دافع السلوك لا يمكن تفسيرها على أساس شعوري وحسب فإن أغلب هذه الدوافع لا شعورية ، وفضلاً عن ذلك فقد أكد فرويد أيضاً على مرحلة الطفولة وخبراتها وعدّها البيئة النفسية الأولى لنشاط الدوافع اللاشعورية التى تؤثر فيما بعد فى حياة الفرد ومستقبله كما أعطى فرويد أهمية خاصة إلى الدوافع الجنسية وأثرها فى حياة الإنسان وشدد على موضوع الغرائز وخاصة الغريزة الجنسية .

لقد كانت ومازالت هذه النظرية تمثل أتجاهاً فريداً فى المجال السيكولوجي وقد أثارت ومازالت لحد الآن تثير الكثير من النقاشات والاجتهادات والآراء حول المفـــاهيم التـــى جاءت بها حتى أن مجموعة من تلاميذ فرويد عارضوا بعض أراءه وطوّروا فـــى هـــذه النظرية وكانت لهم إضافات واضحة وإسهامات متميزة لكنها كانت فى مجملها تصب فى أساسيات هذه النظرية وفى صلب ما جاءت به.